

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[337] فَإِنَّهَا سَتَبْدَلُ أَيْضاً إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَلَا تَكُونُ حِينَئِذٍ كَالْمَزْرَعَةِ الَّتِي أُتْلِفَهَا الْبَلَاءُ وَالْوَبَاءُ. ثُمَّ تَضِيفُ الْآيَةَ: إِنَّ الْأَرْضَ سَبْحَانَهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ - إِذَا كَانَ لَائِقاً لِهَذِهِ الْهَدَايَةِ - إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، ذَلِكَ الصِّرَاطُ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَمَرْكَزِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ (ويَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ). * * * ملاحظات 1 - لما كَانَ الْقُرْآنُ كِتَابَ تَرْبِيَةٍ وَتَكَامُلٍ لِلْإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ يَسْتَعِينُ بِالْأَمْثَلِ لِتَوْضِيحِ الْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَارِدِ، وَقَدْ جَسَّدَ الْمَوَاضِيعَ الَّتِي لَهَا امْتِدَادٌ زَمَنِي طَوِيلٌ فِي مَسْرُوحَةٍ وَتَمَثِيلِيَّةٍ قَصِيرَةٍ وَقَابِلَةٍ لِلْمُطَالَعَةِ أَمَامَ أَعْيُنِ النَّاسِ. إِنَّ مَتَابَعَةَ تَأْرِيخِ مَلِيءٍ بِالْحَوَادِثِ يَتَعَلَّقُ بِالْإِنْسَانِ مَا، أَوْ جِيلٍ مَا، وَالَّذِي قَدْ يَطُولُ لِمِائَةِ سَنَةٍ أحياناً لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيْنِ بِالنِّسْبَةِ لِلْأَفْرَادِ الْعَادِيِّينَ، أَمَّا عِنْدَمَا تَتَلَخَّصُ هَذِهِ السَّاحَةُ وَالْحَيَاةُ فِي عِدَّةٍ أَشْهَرٍ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي حَيَاةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ النَّبَاتَاتِ، مِنَ الْوَلَادَةِ إِلَى الرُّشْدِ وَالنُّمُو وَالْجَمَالِ، ثُمَّ الْهَلَاكِ وَالْمَوْتِ، وَتُظْهِرُ أَمَامَ الْإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَى بِبَسَاطَةٍ مَرَاحِلَ حَيَاتِهِ وَكَيْفِيَّتَهَا فِي هَذِهِ الْمَرَاةِ الشَّافَةِ. جَسَمُوا هَذِهِ اللَّقَطَاتِ أَمَامَ أَعْيُنِكُمْ تَمَاماً: حَدِيقَةُ مَلِيئةٍ بِالْأَشْجَارِ وَالْخَضِرَةِ وَالنَّبَاتَاتِ الدَّائِمَةِ الثَّمَرِ، وَصُخْبُ الْحَيَاةِ يَعْمُ كُلُّ أَرْجَائِهَا ... وَفَجْأَةً فِي لَيْلَةٍ مَظْلَمَةٍ، أَوْ يَوْمٍ صَحْوٍ تَغْطِي السَّحَابُ السُّودَاءُ وَجْهَ السَّمَاءِ، وَتَرْعَدُ وَتَبْرُقُ ثُمَّ تَهْبُ الْعَاصِيرُ الْعَاطِيَةُ وَتَنْهَمِرُ الْأَمْطَارُ الشَّدِيدَةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَتَدْمُرُهَا. غَدَاً نَأْتِي لِرُؤْيَا تِلْكَ الْحَدِيقَةِ ... الْأَشْجَارِ مُتَكَسِرَةٍ ... النَّبَاتَاتِ وَالْأَعْشَابِ مَبْعَثَرَةٍ وَمَيْتَةٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَمَامَنَا مَلْقًى عَلَى الْأَرْضِ بِصُورَةٍ لَا نَصَدُقُ مَعَهَا أَنَّ هَذِهِ هِيَ تِلْكَ الْحَدِيقَةُ الْغَدَّاءُ الْجَمِيلَةُ الَّتِي كَانَتْ تَبْتَسِمُ فِي وَجْهِهَا بِالْأَمْسِ!.